مسألة إيمان فرعون عند ابن عربي
(دراسة وصفية تحليلية)

إعداد د. فاطمة عوض سعد الرافعي العمري

أستاذ مساعد بكلية التربية والتنمية البشرية

قسم الثقافة الإسلامية – عقيدة ومذاهب معاصرة

جامعة بيشة – المملكة العربية السعودية

المستخلص:

تناول هذا البحث قضية عقيدية حظيت بجدل واسع في الفكر الإسلامي عامة والفكر الصوفي خاصة، وهي مسألة "إيمان فرعون" وموقفه الإيماني لحظة الغرق، وذلك من خلال دراسة موقف الشيخ محيي الدين بن عربي .يهدف البحث إلى استكشاف خلفيات ورؤية ابن عربي التأويلية لهذه المسألة ومقارنتها بموقف متكلمي أهل السنة والفقهاء .اعتمدت الدراسة على المنهج الاستقرائي التحليلي والمقارن لتتبع نصوص ابن عربي ونصوص المخالفين له .

أظهرت نتائج البحث أن ابن عربي يرى صحة إيمان فرعون بناءً على التأويل الباطني لقوله تعالى: ﴿آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: 90]، حاسباً هذا الإقرار إيماناً صحيحاً ومقبولاً، وأن الغرق كان طهارة له من الذنوب. في المقابل، تبيّن تفنيد علماء الكلام والفقهاء لهذا الطرح، معتبرين أنه يخالف صريح النصوص القرآنية وإجماع الأمة؛ إذ إن الإيمان في حالة اليأس و"الغرغرة" لا يُقبل شرعاً ولا يغير من الحُكم العمدي. وخلصت الدراسة إلى أن رأي ابن عربي يمثل خروجاً عن الضوابط العقدية المستقرة وتغليباً للنزعة التأويلية الشاطحة على الأدلة القطعية. وتوصي الدراسة بضرورة توخي الحذر من التأويلات التي تصادم محكمات الكتاب والسنة حمايةً للعقيدة الإسلامية من شطحات الفكر الفلسفي والصوفي .

الكلمات المفتاحية :إيمان فرعون – ابن عربي – دراسة عقدية – المتكلمون – التصوف .

Abstract:

This research addresses a critical theological controversy that has generated extensive debate within Islamic thought in general and Sufi doctrine in particular: the issue of the "Faith of Pharaoh" (Imaan Fir'awn) upon his drowning, viewed through the stance of Sheikh Muhyiddin Ibn Arabi. The study aims to investigate the analytical and hermeneutical framework behind Ibn Arabi's perspective and contrast it with the consensus of Muslim theologians (*Mutakallimun*) and jurists (*Fuqaha*). Utilizing an inductive, analytical, and comparative methodology, the study examines relevant primary texts from both Ibn Arabi and his critics.

The findings reveal that Ibn Arabi asserts the validity of Pharaoh's faith based on an esoteric interpretation (*Ta'wil*) of the Quranic verse: *"I believe that there is no deity except that in whom the Children of Israel believe, and I am of the Muslims"* [Yunus: 90]. Ibn Arabi considered this utterance a sincere declaration of faith and viewed Pharaoh's drowning as a spiritual purification from sins. Conversely, the study highlights the refutations provided by theologians and jurists who rejected this premise for violating explicit Quranic evidence and scholarly consensus, emphasizing that faith declared under dire distress or during the death rattle (*al-Gharghara*) is legally invalid. The study concludes that Ibn Arabi's view departs from established creedal fundamentals, prioritizing speculative hermeneutics over definitive evidence. The research recommends adhering strictly to the explicit texts of the Quran and Sunnah to safeguard Islamic theology from speculative philosophical excesses.

Keywords: Faith of Pharaoh – Ibn Arabi – Creedal Study – Theologians – Sufism.

المقدمـة

الحمد لله الذي أنار بصائر أهل اليقين، وهداهم لصريح الحق والمنهج المبين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، تركنا على المحجة البيضاء، والقائل صلوات الله وسلامه عليه: «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ، لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ[1]

تُعد قضية الإيمان والكفر المرتكز الأساس الذي يقوم عليه صرح العقيدة، والقطب الذي تدور حوله أبحاث التوحيد. وتُعتبر مسألة "إيمان فرعون" في منظومة التصوف الفلسفي

[1] . أخرجه الإمام مالك في الموطأ (رواية أبي مصعب الزهري)، تحقيق: بشار معروف ومحمود خليل، مؤسسة الرسالة، 1412هـ، كتاب الجامع، باب النهي عن القول بالقدر، برقم (1874)، (2/70).

– ولا سيما عند الشيخ محيي الدين بن عربي– من أكثر المسائل العقدية إثارة للجدل؛ نظراً لآثارها المنهجية التي تتجاوز الفرع الجزئي لتُمَسَّ بها أصول النجاة والهلاك وضوابط التكليف.

ومن هذا المنطلق، تجيء هذه الدراسة بعنوان: "**مسألة إيمان فرعون عند ابن عربي: دراسة عقدية**"؛ لتمحيص هذا المذهب وموازنته بالأدلة الشرعية القطعية من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، وتفكيك المبررات التأويلية التي ساقها ابن عربي لإثبات نجاة فرعون، صيانةً لجناب التوحيد، وضبطاً لمعايير الاستدلال العقدي.

أسباب اختيار الموضوع:

1. **الخطورة المنهجية للمسألة** :كونها لا تمثل مجرد خلافٍ جزئي، بل تُعد نموذجاً قياسياً واختباراً كاشفاً لمنهج عقدي وتأويلي متكامل يُقاس عليه غيره من القضايا.
2. **تفكيك الشطحات التأويلية** :كشف فجوة الاستدلال بين التأويل الباطني وبين المحكمات القرآنية، منعاً لترسيخ خطأ عقدي تحت دعاوى التسامح أو العرفان.
3. **تجلية موقف جمهور المتكلمين والفقهاء** :إبراز حجج أهل السنة والجماعة وتفنيدهم لمنهج ابن عربي؛ ليكون البحث مرجعاً حائماً حول ضبط حقيقة الإيمان المقبول شرعاً.

مشكلة البحث وتساؤلاته:

تكمن مشكلة البحث في وجود فجوة منهجية وتباين حاد بين ما تقرر لدى محيي الدين بن عربي من القول بنجاة فرعون وإيمانه اعتماداً على التأويل العرفاني، وبين ما انعقد عليه إجماع علماء العقيدة والمتكلمين استناداً إلى ظاهر النص المحكم.

وتتفرع عن هذه المشكلة الأسئلة الآتية:

1. ما المرتكزات والتأويلات التي اعتمد عليها ابن عربي في القول بصحة "إيمان فرعون"؟
2. كيف تصطدم هذه الرؤية بالقواعد العقدية الكلية والسنن الإلهية المتعلقة بالثواب والعقاب وإيمان اليأس؟
3. ما الحجج والأدلة التي استند إليها جمهور المتكلمين والفقهاء في تفنيد دعوى ابن عربي ودحضها؟

أهمية البحث:

تتجلى أهمية الدراسة في المحاور الآتية:

- **حماية الثوابت العقيدية:** ترسيخ القواعد الشرعية المتعلقة بإيمان اليأس ومصير الطغاة، صيانةً للعقيدة من التحريف.
- **ضبط حدود التأويل:** التمييز بين التأويل المقبول الموفق لمقاصد الشريعة، والتأويل الباطني المصادم للقطعيّات.
- **إثراء المكتبة العقدية:** تقديم دراسة نقديّة موازنة بين الطرح الصوفي الفلسفي وبين الردود النصية والعقلية للمتكلمين والفقهاء.

- **التقييم المنضبط لمدرسة ابن عربي:** فهم أبعاد المنظومة الفكرية لابن عربي وتقويمها بعيداً عن الغلو في المدح أو الإجحاف في النقد.

حدود الدراسة:

تقتصر الدراسة على:

- **الحد الموضوعي:** التقييم العقدي لمسألة "إيمان فرعون" في فكر ابن عربي.
- **الحد المنهجي:** الموازنة بين تأويلات ابن عربي الإشارية وأدلة المتكلمين والفقهاء من الكتاب والسنة والإجماع.

الدراسات السابقة:

- **دراسة: "حقيقة إيمان فرعون في التراث العربي"، د. محمد الصالح الضاوي (2020م).**

- **وجه المفارقة والتميز** :جاءت دراسة د. الضاوي مسحية استقرائية تتتبع المسألة عبر عموم التراث العربي بمختلف مدارسه، بينما تركز هذه الدراسة بشكل أعمق وتخصصي على تفكيك "المنظومة العقدية والتأويلية عند ابن عربي" تحديداً، وإخضاعها لميزان النقد العقدي والمقارنة المباشرة مع آراء المتكلمين لكشف آثارها المنهجية.

مناهج البحث:

يعتمد البحث على التكامل بين المناهج العلمية الآتية:

- **المنهج التاريخي:** للتعريف بشخصية ابن عربي، وبيئته، وتكوينه المعرفي.

- **المنهج التحليلي**: لتفكيك نصوص ابن عربي وتحليل بنيتها الاستدلالية والتأويلية.
- **المنهج النقدي**: لفحص أدلة ابن عربي وتفنيدها في ضوء معايير العقيدة ومحكمات الشريعة.
- **المنهج المقارن**: للموازنة بين الطرح العرفاني لابن عربي وبين مواقف وآراء جمهور المتكلمين والفقهاء.

خطة البحث:

تنتظم الدراسة في مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس، وفق الآتي:

- **المقدمة)** :وتشمل: الأهمية، المشكلة، الأسباب، الحدود، الدراسات السابقة، المناهج، والخطة.(
- **المبحث الأول: ابن عربي؛ حياته وعصره.**
  - **المطلب الأول** :التعريف بابن عربي (اسمه، مولده ونشأته، شخصيته العلمية).
  - **المطلب الثاني** :موقف العلماء منه.
- **المبحث الثاني: مسألة إيمان فرعون عند ابن عربي ورد المتكلمين عليه.**
  - **المطلب الأول** :حقيقة إيمان فرعون عند ابن عربي.
  - **المطلب الثاني** :تفنيد ادعاء ابن عربي والرد عليه.
  - **المطلب الثالث** :موقف الإمام ابن تيمية من المسألة.
  - **المطلب الرابع** :الاستدلال بالحديث النبوي في أدلة الرد.
  - **المطلب الخامس** :دوافع ومبررات موقف ابن عربي.
  - **المطلب السادس** :تعقيب وتوضيح عقدي.

- **المطلب السابع** :مسألة الدعوة ومحاولة هداية فرعون.

- **الخاتمة**: وتتضمن أهم نتائج البحث وتوصياته.
- **الفهارس**: فهرس المصادر والمراجع.

المبحث الأول

ابن عربي حياته وعصره

شخصية ابن عربي من الشخصيات المثيرة للجدل، نظراً لآرائه وعقيدته، وبالطبع فالنشأة والبيئة لها تأثير كبير على شخصية أي فقيه أو متكلم، ومن هذا المنطلق ولكي نتعمق في فكر ابن عربي فلابد من الإلمام بجوانب شخصيته ونشأته والعوامل التي أدت إلى الوصول به لمعتقده الديني، ولا يعتبر هذا مبرراً لمن يعتنق مذهباً خارج نطاق الشرع الحنيف والدين القويم، ويتضح ذلك من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: التعريف بابن عربي:

الفرع الأول: اسمه وكنيته:

هو محي الدين ابن عربي، محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الشيخ محي الدين أبو بكر الطائي الحاتمي الأندلسي المعروف بابن عربي [1][2] هذا هو تعريف ابن عربي وكنيته كما اتفق عليه من الجميع.

(1) ينظر الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤط وتركي مصطفي، دار أحياء التراث العربي، بيروت، 1420 هـ،2000م، جـ 4، صـ 124، الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين-بيروت، ط: 15، 2002 م، جـ 7، صـ 29.

(2) ينظر: ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، تحقيق: دائرة المعارف النظامية، مؤسسة الأعظمى، بيروت، ط 2، 1390 هـ، 1971م، حـ 5، صـ 311.

وتقتضي الدقة العلمية التمييز بينه وبين الإمام الفقيه المالكي والأصولي المشهور بالاستقامة والاتباع، القاضي "أبو بكر بن العربي" محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الإشبيلي القاضي

فقيه حافظ عالم متقن أصولي محدث مشهور أديب رائق الشعر رئيس وقته، (المعروف بالتعريف بأل، المتوفى 543 هـ)،[1] بينما صاحب الدراسة هنا هو الفيلسوف الصوفي "محيي الدين بن عربي" (المتوفى 638 هـ) صاحب كتاب فصوص الحكم ومسألة "إيمان فرعون" محل البحث.

الفرع الثاني: مولده ونشأته:

ولد في شهر رمضان سنة ستين وخمس مائة برسيه في بلاد الأندلس، ثم انتقل منها إلي اشبيلية ليسمع من ابن بسكوال وسمع بدمشق وبغداد، وسكن الروم[2] ومن الواضح أن ابن عربي نشأ نشأة أعجمية بعيداً عن بلاد العرب، وبالتأكيد فقد كان لهذا أثر عليه خاصة في فكره وعقيدته، فلم ينشأ نشأة عربية إسلامية خالصة، ويتضح أثر النشأة علي ابن عربي من قوله: " أنه ركبه صاحب الروم يوماً فقال هذا بدعوة الأسود فسُئل عن ذلك فقال خدمت

(1) الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، نشر: دار الكاتب العربي–القاهرة، 1967م، جـ 1، صـ 92.

(3) الصفدي: الوافي بالوفيات، حـ 4، صـ 124، 126، الزركلي: الأعلام، جـ 7، صـ 29، ابن شاكر: فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر–بيروت، ط: 1، 1973م، 1974م، جـ 3، صـ 435،436.

بمكة بعض العلماء فقال يوماً الله ينزل لك أعز خلقه " [1] من الواضح أن ابن عربي وكل نفسه، ويعتبر نفسه ولياً وأنه قد ولد ليعيش عزيزاً مكرماً عن الآخرين.

الفرع الثالث: شخصيته العلمية:

كان ابن عربي، حكيماً، صوفياً متكلماً فقهياً، مفسراً، أديباً، شاعراً، شغلت شخصيته الشرق والغرب علي السواء... وقد برع في علم التصوف[2] وهنا يجب أن نتوقف عند تعدد مواهب ابن عربي، فالحقيقة أن تعدد المواهب والعلوم عند المتكلم أو الفقيه يكون أثره إما إيجابياً أو سلبياً، ولا شيء بينهما، والظاهر من الأمر أن كثرة مواهب ابن عربي كانت سلبية عليه، وأدت إلي عدم تركيزه في علم واحد، علي أن لا يصيبه الشطط والغلو، وربما يكون ذلك التعدد قد سبب له تشتتاً فكرياً وعقدياً أثر عليه بعد ذلك، لذا كان يقول عن نفسه " أعرف الاسم الأعظم وأعرف الكيمياء بطريق المنازلة لا بطريق الكسب"[3]، وهو هنا يبدو فيه شطط وغلو، في قوله أنه يعرف الاسم الأعظم لأن هذا من شطحات الصوفية.

(1) محمد بن درنيقة: معجم أعلام شعراء المدح النبوي، تقديم: ياسين الأيوبي، دار ومكتبة الهلال، ط1، حـ1، صـ 377، ابن شاكر: فوات الوفيات، جـ 3، صـ 436.

(2) محمد بن درنيقة: معجم أعلام شعراء المدح النبوي، ط1، صـ 377، الصفدي: الوافي بالوفيات جـ 4، صـ 124، 125. – الصفدي: الوافي بالوفيات، حـ 4، صـ 124، 125، كحالة: معجم المؤلفين، نشر: مكتبة المثنى–بيروت، دار إحياء التراث العربي–بيروت، جـ 11، صـ 40.

(3) الصفدي: الوافي بالوفيات، حـ 4، صـ 126.

المطلب الثاني: رأي العلماء فيه:

لأن المهم في دراسة شخصية المتكلم أو الفقيه هو معرفة علمه ودينه وأخلاقه، وليس معرفة صفاته الشخصية فهذا أمر خاص به لا يؤثر إلا قليلاً، لذا وجب علينا معرفة آراء العلماء فيه، حتى نتمكن من الوصول إلى كنه شخصيته العلمية ونعرف العوامل المؤثرة عليه، ونعرف اتجاهه العقدي والفكري.

وقد قال عنه الشيخ عز الدين بن عبد السلام أنه " شيخ سوء كذاب يقول بقدم العالم ولا يحرم فرجاً هكذا حدثني شيخنا ابن تيميه الحراني به عن جماعه حدثوه عني شيخنا ابن دقيق العبد أنه سمع الشيخ عز الدين يقول ذلك وحدثني بذلك المقاتلي[1] واعتقد أنه من خلال رأي هؤلاء العلماء وإجماعهم عن ابن عربي أنه كان شارد الفكر سيء العقيدة.

ويتأكد الأمر برأي الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي يقول عنه " وأما الاتحادي ابن عربي صاحب الفصوص المخالف للنصوص وابن الفارضي الذي لدين الله محارب وبالباطل للحق معارضاً فمن تمذهب بمذهبهما فقد اتخذ من غير الرسول سبيلاً، وانتحل طريق المغضوب عليهم والضالين المخالفين لشريعة سيد المرسلين [2] بل أن الشيخ عبد الوهاب رحمه الله يستدرك كلامه بقوله إن " من انتحل مذهبهما وجب هجره وعزله عن الولاية إذا كان ذا ولاية من إمامه أو غيرها، فإن صلاته غير صحيحة لا لنفسه ولا لغيره، وذلك من باب هجر المبتدع [3].

وقال الصفدي: "وقفت على كتابه الذي سماه الفتوحات المكية؛ لأنه صنفه بمكة وهو في عشرين مجلدة بخطه فرأيت أثناءه دقائق وغرائب وعجائب ليست توجد في كلام غيره وكأن

([1]) الصفدي: الوافي بالوفيات، حـ 4، صـ125. ينظر أيضاً ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، حـ 5 ، صـ 311.

([2]) ميرفت بنت كامل بن عبد الله أسرة، احتساب الشيخ محمد بن عبد الوهاب، دار الوطن، حـ1، ص 306.

([3]) أنظر المرجع السابق نفسه.

المنقول والمعقول ممثلان بين عينيه في صورة محصورة يشاهدها متى أراد... وأخبرني الشيخ فتح الدين إجازة ومن خطه نقل قال سمعت شيخنا الإمام أبا الفتح القشيري يقول سألت الشيخ عز الدين ابن عبد السلام عن الشيخ أبي بكر ابن العربي فقال: شيخ سوء كذاب مقبوح يقول بقدم العالم ولا يرى تحريم الفرج فسألته عن كذبه فقال كان ينكر تزويج الإنس بالجن ويقول الجن روح لطيف والإنس جسم كثيف لا يجتمعان ثم زعم أنه تزوج امرأة من الجن وأقامت معه مدة ثم ضربته بعظم جمل فشجته وأرانا شجة بوجهه وبرئت"([1]).

وجاء في كتاب الرد على الرفاعي والبوطي: "وبعد هذا أقول للبوطي والرِّفاعي: هذا التَّائه الذي يقول (بإيمان فرعون، وأنَّ عذابَ النَّار نعيمٌ لأهلها، وأنَّ عُبَّادَ العِجل إنَّما عبدوا الله؛ لأنَّه حالٌّ في المخلوقات، وأنَّ الريحَ التي عُذِّبت بها عادٌ راحةٌ لهم وأمرٌ يستعذبونه!) . أقول: هذا التَّائهُ القائل بهذا الكفر، ألاَ يكون كافراً عدوًّا لله؟! ومع هذه الأقوال القبيحة الشنيعة هو عند جماعات من الصوفيَّة وليٌّ من أولياء الله!!"([2]).

ومن الكلام السابق وخاصة ما أكدناه من الجمع في عقيدة ابن عربي وابن الفارض يتضح فساد مذهب وعقيدة ابن عربي، وهذا الكلام بناءً علي السياق العام ومن رأي علماء الأمة المعتبرين فيه، ونجد من المحدثين من يؤكد هذا الرأي عن ابن عربي فنجد من يقول : " وبالرغم من أن ابن عربي هذا قد زعم أنه نقل علمه وكتبه عن الرسول (ﷺ) مباشرة، وكتب عن اللوح المحفوظ بلا وساطة، وصاغ عقيدة وحدة الوجود بكل جرأة وبلا مواربة، بل بقليل من التدليس والمراوغة، واستطاع أن يحرف آيات القرآن فيزعم أن قوم هود الكافرين كانوا علي

([1]) ينظر: الصفدي: الوافي بالوفيات، جـ 4، صـ 125.

(2) عبد المحسن بن حمد العباد البدر، الرد على الرفاعي والبوطي في كذبهما على أهل السنة ودعوتهما إلى البدع والضلال، نشر: دار ابن الأثير، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1421هـ-2000م، جـ 1، صـ 109،110.

الصراط المستقيم وأن فرعون كان مؤمناً كامل الإيمان، وبالرغم من أن ابن عربي قال هذا الكلام كله، فقد وجد هذا الرجل من المروجين والإتباع ما لا يقع تحت الحصر منذ ظهوره إلي زماننا هذا [1] .

وقد وصل الحال بالبعض إلى تكفير ابن عربي، فنجد من يقول عنه: " هذا التافه الذي يقول بإيمان فرعون وأن عذاب النار نعيم لأهلها وإن عباد العجل إنما عبدوا الله، لأنه حال في المخلوقات. وأن الريح التي عذبت بها عاد راحة لهم وأمر يستعذبونه!!! أقول: هذا التافه القائل بالكفر، ألا يكون كافراً عدو الله؟! ومع هذه الأقوال القبيحة الشنيعة هو عند جماعات من الصوفية ولي من أولياء الله". [2]

إذن من الواضح غلو فكر ابن عربي وفساد منهجه وعقيدته، وبهذا لا نحكم عليه في مسألة إيمان فرعون إلا في سياقها من الدراسة، ودراسة شخصيته الهدف منها أن تكون تمهيداً لفهم فكره وعقيدته، حتى تكون على بينه من اتجاهه، بغض النظر عن دراسة القضية العقدية بموضوعية؛ بعيداً عن الميول والمعتقدات.

وإحقاقاً للحق فقد مدحه البعض، فنجد الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني يعظمه في كتابه في علم الكلام عن الملك والنبي والشهيد والصديق فقال في فضل الصديقية " قال الشيخ محي الدين ابن العربي البحر الزاخر في المعارف الإلهية وذكر من كلامه جملة ثم قال أخر الفصل إنما نقلت كلامه وكلام ما جري مجراه من أهل الطريق لأنهم أعرف بحقائق هذه المقامات

(2) عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، مكتبة ابن تيميه، الكويت، ط3، 1986 م ط، صـ 70.

(1) عبد المحسن بن حمد البدر: الرد علي الرفاعي والبوطي في كذبهما علي أهل السنة ودعوتهما إلى البدع والضلال، دار ابن الأثير، الرياض، السعودية، ط 1، 1421 هـ، 2000م، ط1، صـ 109-110.

وأبصر بها لدخولهم فيها وتحققهم بها ذوقاً والمخبر عن الشيء ذوقاً مخبر عن عين اليقين فأسال به خبيراً. (1)

وليس الزملكاني فقط الذي عظمه، بل عظمه ابن النجار الذي اجتمع به بدمشق في رحلته إليها وكتب عنه من شعره وقال: ونعم الشيخ هو، ويذكر أنه دخل بغداد وأقام بها اثني عشر يوماً ثم دخلها ثانياً حاجاً من مكة مع الركب". (2) ويذكر له قوله " أنا حائر ما بين علم وشهوة... ما بين ضرين متى وصل". (3) ويجب علينا ألا ننخدع برأي الشيخين، فالواضح أنهما إنما يعظمانه ويجلّانه لأنهما على نفس عقيدته ونهجه، وواضح هذا جلياً من ربط الزملكاني بين كلام ابن عربي والمقام والذوق، وهذه معان صوفية باطنية يقول بها من على درب ابن عربي فقط.

وأخيراً لنؤكد عقيدة ابن عربي ونهجه الصوفي، وفساد فكره، نذكر له بعض الأبيات الشعرية يقول فيها:

الرب عبد والعبد رب *** يا ليت شعري من المكلف
أن قلت عبد فذاك رب *** أو قلت رب أني يكلف (4)

بل يقول في كفر صريح!

(2) الصفدي: الوافي بالوفيات، حـ 4، صـ 127.

(3) ينظر الصفدي: الوافي بالوفيات، حـ 4، صـ 127.

(1) المرجع السابق نفسه.

(2) ينظر أحمد بن حجر بن محمد البنعلي: الشيخ محمد بن عبد الوهاب المجدد المفتري عليه، دار الفتح، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1415 هـ، 1995م، حـ 1، صـ208 .

وما القلب والخنزير *** وما الله إلا راهبي في كنيته[1]

ويقول أيضاً: "ومن أسمائه الحي العلي على من؟ ودائم إلا هو؟ فهو العلي لذاته؟ أو عن ماذا؟ وما هو إلا هو فعلوه لنفسه، وهو من حيث الوجود عين الموجودات"[2].

ونعطي أمثلة عن ابن عربي وفكره، نثبت من خلالها أنه كان اتحادياً باطنياً فاسد العقيدة، فنجده يتكلم بكلام أشبه بالطلاسم فيقول: "وأعلم أن فلك الولاية هو الفلك المحيط الأعم الآتم الأكمل العقلي، وفلك النبوة وفلك أتم النفس، وفلك الرسالة هو الفلك القريب المثلث الهيولي"[3] وكلامه هذا من الصعب فهمه.

ومثال أخير يدل على فهم شخصية ابن عربي وعقيدته ومنهجه لنتأكد من ابتعاده عن الحق، وأنه مبتدع وجودي، فهو يتكلم عن الطهارة التي هي موضوع فقهي واضح ومعروف من خلال القرآن والحديث وكتب الفقه، فيقول عنها: نزل الروح الأمين علي القلب وقال: أيها المحل النزيه المكين أحرم خلفي بصلاة الظهر، ولا تكبر فإنك مع المعروف وقال للحسي: ارفع يديك وكبر فإنك مع الحروف"[4].

ويعتبر ابن عربي أن لكل شيء حجاب، وأن للعلم حجاباً "وهو أول الحجب الشريفة، وهو حجاب علي العين، والعين حجاب عن العلم الثاني، وهو الحق، وهو ما وجد له

(3) المرجع السابق نفسه.

(4) المرجع السابق نفسه.

(2) ابن عربي: تنزل الأملاك في عالم الأرواح إلى عالم الأفلاك، وضع حواشيه الشيخ/ عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة 2000م، ط1، ص26.

(3) المرجع السابق، ص38.

المعلوم".[1] والأمثلة السابقة يصعب فهمها علي المتخصصين فما بالنا بالعامة، ومن يوالون ابن عربي من المتصوفة يعتبرون أن كلامه المطلسم لا يفهمه إلا أهل الطريق، فهل من المعقول أن يكون الغموض هو أساس أقواله، وهل يعقل أن يكون الدين مجرد مجموعة من الكلمات الغامضة، وهل أنزل الله دينه الحنيف لمن يعتبر أن الدين ظاهر وباطن، الحقيقة أن الدين نزل واضحاً مفهوماً للجميع، لكن أمثال ابن عربي أخذوا اتجاهاً آخر، بعيد عن الحق تماماً.

هذا كلام وآراء ابن عربي، لا يحتاج كلامه ولا رأيه إلى شرح أو تحليل، إلا أنه كفر صريح، وإن كان البعض يري أن كلامه بتأويل، فهؤلاء من يسيرون على دربه لا على درب الشريعة الصحيحة، خاصة أن التأويل هذا يتضمن كلمات كفرية، ثم كيف يؤول مع الذات الإلهية، والإسلام واضح جل ولا يجب التأويل فيما لا تأويل فيه، وهناك فرق واضح بين التأويل والتوفيق، ثم فرق بين التوثيق والتلفيق وما قاله ابن عربي هو تلفيق يصل به للكفر الصريح لعدم التأدب مع الله سبحانه وتعالي.

وأخيراً وبعد أن تعرفنا معرفة جيدة عن نشأة ابن عربي وفكره، ذلك حتى نتمكن من التعمق في أغوار عقيدته، وتكون لدينا بينه واضحة عنه، وتكون الدراسة مؤسسة بشكل موضوعي، فيجب أن تعرف أن ابن عربي له كثير من المؤلفات تتخطى العشرات، لكن أهمها: الفتوحات المكية من عشرون مجلد، التبريرات الإلهية، فصوص الحكم، وبالطبع كثرة المؤلفات لا تعتبر فضيلة إلا إذا كانت صحيحة المعتقد، وأري أن تلك المؤلفات تؤخذ عليه ولا تؤخذ له، لما تحويه من آراء كفرية في معظمها، وقد توفى ابن عربي بدمشق في دار القاضي محيي الدين

(4) ابن عربي: كتاب الحجب، تحقيق وتقديم/ سعيد عبد الفتاح، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط1، سنة 2004م، ص45.

ودفن بتربة القاضي محيي الدين في الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وست مائة من الهجرة .[1]

المبحث الثاني

رأي ابن عربي في إيمان فرعون ورد المتكلمين عليه

يُمثّل موقف محيي الدين بن عربي من مسألة "إيمان فرعون" أحد أكثر الآراء إثارة للجدل في تاريخ الفكر الإسلامي؛ حيث قدّم في كتابه فصوص الحكم رؤية عرفانية مغايرة للسائد، مستنداً إلى ظاهر بعض الآيات القرآنية ليرى أن فرعون مات طاهراً مؤمناً بعد أن أدركته الرحمة الإلهية الواسعة عند الغرق. في المقابل، قوبل هذا الطرح برفض قاطع وصارم من قِبل جمهور المتكلمين والفقهاء، الذين اعتبروا إيمان اليأس عند نزول العذاب غير مقبول شرعاً وعقلاً، ودعموا موقفهم بالأدلة النقلية الحاضّة على كفر فرعون وخلوده في النار، ويسعى هذا المبحث إلى تسليط الضوء على هذه الجدلية العميقة عبر استعراض فلسفة ابن عربي وتفكيك أدلة المتكلمين التي ردوا بها عليه، وذلك من خلال المطالب الآتية:

(1) ينظر الصفدي: الوافي بالوفيات، حـ 4، صـ 126.

المطلب الأول: إيمان فرعون عند ابن عربي:

بعد أن تعرفنا عن شخصية ابن عربي؛ لتكون مفتاحاً للدراسة؛ لأن العقيدة أو الفكر نتاج المفكر أو المتكلم، وبالطبع فالمتكلم نتاج بيئته وشخصه، وذلك حتى نكون على بينه بفكره وهل هذا الفكر متسق مع شخصه أم لا وابن عربي من كبار المتصوفة كما عرفنا؛ وبالتالي سنجد آرائه تميل إلى المنحى الصوفي الباطني.

والواجب علينا أن ننبه إلى أنه قد "نشأ القول بإيمان فرعون لدى الصوفية الاتحادية علي يد شيخهم ابن عربي الملقب لديهم بمحيي الدين، وكان له اختصاص بالدفاع عن فروع، حيث صرح بذلك في أهم كتابين صفهما وهما " الفتوحات المكية، فصوص الحكم " وأيده في ذلك من سلم له قيادة من الحمقى، كما قال صاحب نعمة الذريعة في نصرة الشرعية "[1] وهذا كلام العلامة ابن المقري الشافعي في سياق إنكاره لقول ابن عربي بإسلام فرعون، وهو من أكابر الشافعية الدين أنكروا على الاتحادية باليمن في وقته غاية الإنكار.

ومن المفترض أن نبدأ الدراسة برأي ابن عربي وقوله بإيمان فرعون، لكن هذه البداية النقدية من علامة وفقيه مهم أن نبدأ بها؛ لتكون أرضية واضحة للرأي في ابن عربي من الفقهاء وعلماء الأمة، وهي دليل واضح قبل العرض للتفنيد على فساد قول ابن عربي، وهنا نبدأ بالكليات قبل الجزئيات؛ لأن الدراسة ليست لمعرفة قضية؛ بل لتنفيذ القضية أو المسألة وإعادة إثبات الحق فيها.

المطلب الثاني: إيمان فرعون عند ابن عربي والرد عليه

(1) السخاوي: القول المبني في ترجمة ابن عربي، دار الرسالة، حـ2 ، صـ 329.

يقول ابن عربي عن إيمان فرعون: "قضاء الموت فيه نية شهادة خالصة بريئة لم تتخللها معصية، فقبض على أفضل عمل وهو التلفظ بالإيمان بالله يجول في باطنه وقد حال الطابع الإلهي الذاتي في الخلق بين الكبرياء واللطائف الإنسانية، فلم يدخلها قط كبرياء. (1)

وكلام ابن عربي يتسم بالسطحية والتلفيق، فهو يعتبر أن إيمان فرعون – من وجهة نظره– عبره للناس كافة أو للمؤمنين، حتى لا يقنط الناس من رحمة الله – سبحانه وتعالي– ويري أن فرعون لم يدخله الكبرياء، والحقيقة أن إيمان فرعون ليس إيماناً، وهو عبره للناس أن إيمان الخوف دون اقتناع مع ظهور النية كاملة لا جدوى منه.

وقد نسى ابن عربي أو تناسى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾(2) .

وهذه الآية الكريمة تتحدث عن عدم قبول التوبة عند حضور الموت فما بالنا بالكفر، ونجد صاحب التفسير الكبير كأنه يرد على ابن عربي في تفسيره للآية بقوله: "أن الإنسان عند حضوره الموت ومشاهدة أهواله فإن توبته حينئذ تكون غير مقبولة"(3).

ويشتط ابن عربي في رأيه وكأن فرعون من الصحابة أو الصالحين، فيقول: "فقد شهد الله لفرعون بالإيمان، وما كان الله ليشهد لأحد بالصدق في توحيده إلا ويجازيه به، وبعد إيمانه فما عصى، فقبله الله إن كان قبله طاهراً، والكافر إذا أسلم وجب عليه أن يغتسل، فكان غرقه

(2) ابن عربي: الفتوحات المكية، ضبط وتصحيح أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، حـ 2،276، 277.

(1) سورة النساء: الآية (18).

(2) الرازي: التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420 هـ، حـ 10، ص8.

غسلاً له وتطهيراً"[1]، وهو طرحٌ يثير الدهشة والاستغراب، وينافي بديهيات العلم الشرعي؛ إذ بلغ الغلو بابن عربي حداً جعله يؤول غرق فرعون الذي هو عين العذاب والهلاك على أنه مجرد غُسلٍ وتطهير، متغافلاً عن صريح الآيات والنصوص التي أكدت كفره وعاقبته، وكأن ابن عربي لا يفقه شيئاً، هو يعتبر أن غرق فرعون غسلاً له، ولا يدري أن الغسل أو الاغتسال هي نية قبل كل شيء، وبمنطقه هذا فكل كافر يغتسل بنظافة يعتبر غسلاً، ولا رد عليه أكثر من ذلك.

ومن الواضح أن ابن عربي تكلم دون دليل، ولا أعرف متى شهد الله – سبحانه – لفرعون ولو كان قد آمن قبل الغرق بساعة لقبل منه، لكن إيمانه مع الغرق لا نية منه، والدليل على إيمانه بسبب آلام الغرق وظهور النية قول الله تعالي:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ (**90**) ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ (91)﴾ [سورة يونس، الآية (90، 91)].

ويري الفخر الرازي أن هذا استفهام، إنكار وذم، ولو كان إيمانه صحيحاً مقبولاً لما قيل له ذلك.

ويؤكد ابن عربي إيمان فرعون فيقول: "فآمن فرعون وتذكر وخشي كما أخبر الله، وأثر فيه ليس قول موسى وهارون، ووقع الترجي الإلهي كما أخبر، فهذا يدل على قبول إيمانه؛ لأنه لم ينص إلا على ترجي التذكر والخشية"، [2] والغريب أننا لم نجد فرعون آمن وخشي فهو لم يحيا

(3) ابن عربي: الفتوحات المكية، حـ 2، ص 410.

(1) ابن عربي: الفتوحات المكية، حـ 2، ص411.

ولو ساعة واحدة بعد قوله هذا في القرآن الكريم، وبالتالي فلم يتعرض لخشية ولم يظهر له إثباتاً بالإيمان.

ونجد تفسيراً للآيات السابقة الخاصة بما نطق به فرعون، يدلل علي عدم إيمانه وكفره، وبهتانه، لأن الله سبحانه وتعالي معرفاً فرعون قبح صنيعه أيام حياته وإساءته إلي نفسه أيام صحته، بتماديه في طغيانه ومعصيته ربه، حين فزع إليه في حال حلول سخطه به ونزول عقابه، مستجيراً به في عذابه الواقع به، لما ناداه وقد علته أمواج البحر، وغشيته كرب الموت: ﴿آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ له المنقادين بالذلة له، المعترفين بالعبودية، الآن تعز الله بالعبودية، وتستسلم له بالذلة، وتخلص له الألوهية، وقد عصيته قبل نزول نعمته بك، فأسخطته على نفسك، وكنت من المفسدين في الأرض، الصادين عن سبيله" (1).

ويري ابن عربي أن من آداب الأولياء" آداب الأرواح الملكية، ألا ترى إلى جبريل يأخذ حال البحر فليقمه في فم فرعون حتى لا يتلفظ بالتوحيد، ويسابقه مسابقة غيره على جناب الحق مع علمه بأنه قد علم أنه لا إله إلا الله؟! وغلبه فرعون فإنه قال كلمة التوحيد بلسانه كما أخبر الله تعالى عنه في الكتاب العزيز" (2).

والحقيقة أن افتراض ابن عربي هذا افتراضاً وهمياً، فهو يتخيل أن جبريل – عليه السلام – لو كان فرعون كافراً ما مكنه من الشهادة أو أن جبريل حاول منعه من الإيمان، وبالطبع جبريل – عليه السلام – من الملائكة نوراني لا يفعل هذا، وذلك الكلام فيه سفسطة، فهو كلام أعداء الإسلام والكافرين بالرسالة الخالدة، الذين يشككون في الإسلام، بقولهم إذا كانت

(1) الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق/ أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: 1، 1420هـ، 2000م.
(2) ابن عربي: الفتوحات المكية، حـ 4، ص60.

الملائكة حاربت مع المسلمين في بدر فلماذا لم يحاربوا في أُحد، والحقيقة التي يجهلها ابن عربي أن القضية ليست منطقيات قوليه بقدر ما هي صدق وكذب، فهل آمن فرعون أم لا، تلك هي القضية وليست جمل منطقية فيها توفيق وتلفيق.

كما وضح فكل الآراء السابقة لابن عربي كانت من كتابه " الفتوحات المكية"، وربما يعتقد البعض أن رأيه في إيمان فرعون كانت شطحه ربما حاد عنها، لكن رأيه يتأكد أكثر وذلك من خلال كتابه " فصوص الحكم" وقد ألفه بعد" الفتوحات المكية "ويُصر أيضاً في كتابه هذا علي إيمان فرعون، بل أنه يتزيد ويقول: " وكان موسي قرة عين فرعون بالإيمان الذي أعطاه الله عند الغرق، فقبضه طاهراً ليس فيه شيء من الخبث؛ لأنه قبضه عند إيمانه قبل أن يكتسب شيئاً من الآثام، والإسلام يجب ما قبله" [1]، والمعلوم أن موسى – عليه السلام – كان عدواً لفرعون دون أن يدري، ومن المفترض أن ينقذ الله فرعون لو كان قد آمن من ذلك علي الأقل حتى يتبع موسي .

والأمر غريب ومريب، بسبب ذلك الإصرار من ابن عربي علي إيمان فرعون، وهو الملعون في كل الكتب السماوية، بل أنه يضفي عليه من الصفات الإيمانية ما يحب إضافته على الصالحين، فمع كل آثام فرعون، نجده عند ابن عربي طاهراً مطهراً، فما بالنا بالصالحين الذين أفنوا حياتهم في عبادة الله وعمل الصالحات، خاصة بعد توضيحنا السابق بأن إيمان فرعون ليس إيمان اقتناع، بل هو إيمان بعد ظهور البينة وفوات الأوان، وموقف فرعون من وجه نظر موضوعيه يثبت كفره. فإيمان فرعون إن كان يصلح فمن الواجب أن تتاح التوبة من الله للأموات بعد البعث؛ لأن كلاهما صنوان، فبعد البعث عرفت الحقيقة كاملة، وعند الغرق

(1) ابن عربي: فصوص الحكم، شرح الشيخ/ عبد الرازق الكاشني، دار آفاق، القاهرة، ط1، سنة 2016م، ص201.

أصبحت الحقيقة جلية عند فرعون لا ريب فيها، وبالطبع هذا مناف لكل التعاليم والتشريعات الإسلامية.

لكن نجده بعد ذلك متناقضاً؛ أو لا ثقة له في رأيه، فيقول: "ثم إنا نقول بعد ذلك: والأمر فيه إلى الله، لما استقر في نفوس عامة الخلق في شقاقه، وما لهم نص في ذلك يستندون إليه"[1] وهو هنا يؤكد ما اجتمعت عليه الأمة، وإجماع الأمة حق، كذلك إجماع الأمة يكون إجماع جمهور العلماء، وهو عامداً أو جاهلاً أغفل ما استند إليه جمهور العلماء من أدلة على كفر فرعون، وقد ذكرنا بعضها سابقاً وسنذكر الباقي فيما يأت.

وقد رد "البقاعي" علي ابن عربي في قوله بإيمان فرعون وزعمه أنه مات مؤمناً صالحاً، فقال وكذلك: "وقع الإجماع علي تكفير كل من دافع نص الكتاب، أو خص حديثاً مجمعاً علي نقله، مقطوعاً به، مجمعاً علي حمله علي ظاهره، كتكفير الخوارج بإبطال الرجم، ولهذا نفكر حتى دان بغير المسلمين من الملل، أو توقف فيهم أو شك، أو صح مذهبهم، وإن أظهر مع ذلك الإسلام واعتقده، واعتقد إبطال كل مذهب سواه، فهو كافر بإظهاره ما أظهر من خلاف ذلك" [2] ثم يتعجب علي من يقول: "أن جميع الخلق من أهل الملل وغيرها علي صراط مستقيم، وأن فرعون مات طاهراً مطهراً بعد النص القطعي علي أنه من أهل النار؛ بقوله تعالي: ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ **[سورة يونس: الآية (83)]**، ﴿وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [سورة يونس، الآية (90، 91)].

(2) ابن عربي: فصوص الحكم، ص 212.

(1) البقاعي: مصرع التصوف، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، نشر عباس أحمد الباز، مكة المكرمة، حـ 1، ص 28، 29.

والبقاعي في رده أعطى مثالاً أقل كثيراً من ابن عربي [1]، وأثبت بمثاله هذا أن هذا كفر صريح، ثم أثبت خطأ ابن عربي وارتكابه فعل كفري أو رأي كفري، وذلك من خلال التوضيح والتأكيد بآية قرآنية واضحة لا تأويل فيها.

وقد اعتبر ابن عربي كما ذكر " القاري" أن فرعون قد آمن ونجا من العذاب، وذلك نتيجة تأويل وفهم خاطئ غريب، حتى أنه اعتبر قول الله سبحانه: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾[يونس: الآية (92)]، فيقول كما يذكر القاري "لأنه لو غاب بصورته ربما قال قومه: احتجب فظهر بالصورة المعهودة ميتاً، فقد عمته النجاة حساً ومعني ومن حقت عليه كلمة العذاب الأخروي لا يؤمن، ولو جاءته كل آية، ... فخزنة فرعون من هذا الصنف، هذا هو الظاهر الذي ورد به القرآن، ثم إنا نقول بعد ذلك: والأمر فيه إلى الله، لما استقر في نفوس عامة الخلق من شقائه، وما لهم معني في ذلك يستندون إليه" [2] .

وقد ذكر هذا الكلام من قبل، وواضح ومؤكد أن ابن عربي مرتبك الفكر والحجة، لكن الأهم أن القاري لم يرد على كلام ابن عربي بالحجة، لكنه اعتبره لغواً لا قيمة له، فقال: "أن الأحوط في أمر الدين هو السكوت عن نفس ابن عربي حيث اختلف العلماء في إنه صديق أو زنديق وعلي الثاني لعله مات تائباً وتحرم مطالعة كتبه؛ لأنها مشحونة بما يخالف عقائد المسلمين في مقام الإيمان والتصديق والله ولي التوفيق " [3] والحقيقة أنه وفق في رده؛ لأن الكلام لا يستحق تفنيد خاصة في تلك الجزئية.

(2) البقاعي: مصرع التصوف، حـ 1، ص 29.

(1) البقاعي: مصرع التصوف، حـ1، ص140.

(2) القاري: الرد على القائلين بوحدة الوجود، تحقيق/ علي رضا بن عبد الله بن علي رضا، دار المأمون للتراث، دمشق، ط1، 1415 هـ، 1995م، حـ1، ص 37، 38.

ورأيه في ابن عربي يبطل كل عقيدته وآراءه، لأنه بهذا الشكل لا يؤخذ منه علماً ولا نفعاً، وبالطبع من يري ابن عربي صديقاً هم من على منهجه وعقيدته في وحدة الوجود؛ ولذلك يؤخذ برأي من يراه زنديقاً وليس من يعتبره صديقاً.

والواضح أن علماء الأمة يدركون خطورة فكر، وعقيدة ابن عربي ومن علي شاكلته، خاصة أنه من المعروف أن ابن عربي لم يقل بإيمان فرعون فقط، بل المتواتر والمتعارف عنه ولا يحتاج إلي توثيق، أن ابن عربي الذي أدعى كذباً أنه نقل علمه وكتبه عن الرسول (ﷺ) مباشرة وكتب عن اللوح المحفوظ بلا واسطة، قد حرف آيات القرآن؛ وقال أن قوم هود الكافرين كانوا علي الصراط المستقيم، وأن قوم نوح كانوا مؤمنين موحدين، وأن الله أغرقهم في بحار الوحدة، ولذا فقوله بإيمان فرعون لا يستغرب منه وللأسف كما يذكر البعض "فقد وجد هذا الرجل من المروجين والأتباع ما لا يقع تحت الحصر منذ ظهوره إلي زماننا هذا، ومن أمة الإسلام الذين يشهدون في كل يوم مرات كثيرة بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وهذا من أعجب العجب". (1)

ونجد البعض قد روج لقول ابن عربي بإيمان فرعون وزادوا عليه زندقة وبهتاناً، مما يثبت أن القول بإيمان فرعون ليس مجرد رأي؛ لكنه تحريف للدين وتغيير لمعاني القرآن ومقاصده؛ مما أدى إلى شطط وغلو عند إتباع ابن عربي فنجد الرفاعي والبوطي وهما من أتباعه يؤمنان "بإيمان فرعون، وأن عذاب النار نعيم لأهلها، وأن عباد العجل إنما عبدوا الله؛ لأنه حال في المخلوقات، وأن الريح التي عذبت بها عاد راحة لهم وأمر يستعذبونه". (2) أليست هذه الأقوال كفرية؟

(1) عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، مكتبة ابن تيمية،" الكويت، ط3، 1409هـ، 1986م، ط1، ص70.

(2) عبد المحسن بن حمد العباد: الرد علي الرفاعي والبوطي في كذبهما علي أهل السنة ودعوتهما إلي البدع والضلال، دار ابن الأثير، الرياض، ط1، 1421 هـ، 2000م، ط1، ص109.

بالطبع نعم، لذلك ندرك خطورة القول بإيمان فرعون، فهي ليست مجرد مسألة عقدية بقدر ما هي كفر صريح، وينطبق قول الله سبحانه: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ على هؤلاء، ومن المعلوم أن الباء تدخل علي المتروك، ولقد ترك هؤلاء الخير ليوالوا الكفر الصريح.

المطلب الثالث: موقف ابن تيميه من مسألة إيمان فرعون

لا يمكن لنا أن نتجاوز موقف شيخ الإسلام ابن تيمية في هذه المسألة، ذلك لما عرف عنه من انضباط عقدي وفكري وتمسكه بالعروة الوثقى، ونجد شيخ الإسلام ابن تيمية يتكلم عن هؤلاء الوجودية وزعيمهم ابن عربي وقولهم بإيمان فرعون فيقول: «وهذا القول كفر معلوم فساده بالاضطرار من دين الإسلام، لم يسبق ابن عربي إليه –فيما أعلم– أحد من أهل القبلة، بل ولا من اليهود ولا من النصارى؛ بل جميع أهل الملل مطبقون على كفر فرعون، وهذا عند الخاصة والعامة أبين من أن يستدل عليه بدليل؛ فإنه لم يكفر أحد بالله ويدعي لنفسه الربوبية والألوهية مثل فرعون.. ولقد رأي إبليس عارفهم». (1)

ومن كلام ابن تيمية يفهم أن جملة " ولقد رأي إبليس عارفهم " المقصود بها ابن عربي، والأمر الثاني أن شيخ الإسلام لم يقصر الأمر في رفض القول بإيمان فرعون على المسلمين فقط، بل ذكر أن اليهود والنصارى يؤمنون بأن فرعون مات كافراً لا مراء في هذا، فهل من المعقول أن يكون من قبلنا وهم النصارى، ومن قبل النصارى وهم اليهود، يؤمنون بكفر فرعون بناءً علي تعاليم أنبيائهم، ثم يأتي أحد المسلمين ويقول بإيمانه، الحقيقة أن القول بكفر فرعون متواتر منذ اليهودية حتى الإسلام، وقد كان ابن تيمية أريباً حكيماً في نفنيده للمسألة.

(1) أحمد بن إبراهيم بن حمد بن عيسى: توضيح المقاصد وتصحيح القواعد، تحقيق/ زهير الشايب، المكتب الإسلامي، بيروت، ط 3، 1406هـ، حـ1، ص 165.

ثم يبين ابن تيمية سبب قول ابن عربي وإتباعه بإيمان فرعون، رغم وضوح المسألة بشكل جلي واضح، فيقول: "حتى آل الأمر بملاحدة المتصوفة كابن عربي صاحب فصوص الحكم وأمثاله إلى أن جعلوا الوجود واحداً وجعلوا الخالق هو وجود المخلوق وهذا تعطيل للخالق، وحقيقة قولهم فيه مضاهاة لقول الدهرية الطبيعية الذين لا يقرون بواجب أبدع الممكن، وهو قول فرعون، ولهذا كانوا معظمين لفرعون.... وأخر تحقيقهم استحلال المحرمات وترك الواجبات".[1] وابن تيمية كشف ابن عربي وعراه تماماً، بل هدم منهجه وعقيدته الفاسدة، وبالتالي هدم قوله بإيمان فرعون، لأن هذا القول نتاج عقيدة فاسدة أدت إلى مسائل ونتائج كفرية.

ويهدم ابن تيمية عقيدة ابن عربي كاملة، خاصة قوله بإيمان فرعون، ويواجه هؤلاء الالحادية ورأسهم ابن عربي والذين ادعوا أنه ليس في القرآن ما يدل علي عذاب فرعون وأنه مات مؤمناً، بل أن فيه ما ينفيه كقول الله: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[سورة غافر: آية (46)]، واعتبروا أن بهذا فرعون لم يدخل معهم، ودخلوا دونه، وواضح أنهم لا يقومون بالتأويل أو بالتوفيق فقط في تفسيرهم للقرآن، بل يلفقون ويدلسون، ويعلق شيخ الإسلام علي هذا بأن الله ثنى قصته في القرآن في مواضع، وأن القصص هي أمثال للدلالة علي الإيمان وليس في الكفار أعظم من كفره، وأن القرآن قد دل علي كفر فرعون وعذابه في الآخرة في مواضع " أحدها قوله تعالي في القصص: ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [سورة القصص: آية (32)].

(1) عبد الرحمن بن صالح المحمود؛ موقف ابن تيمية من الأشاعرة، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1415 هـ، 1995م، حـ2، ص918.

إلي قوله: ﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ [سورة القصص: آية (42)]، فأخبر سبحانه أنه أرسله إلي فرعون وقومه وأخبر أنهم كانوا قوماً فاسقين وأخبر أنهم ﴿قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى﴾ [سورة القصص: آية (36)]، وأخبر أن فرعون قال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [سورة القصص: آية (38)].

وبعد استدلال ابن تيمية بآيات بينات من الذكر الحكيم تثبت يقيناً كفر فرعون وقومه، نجده يذكر بعض مواقف وأقوال فرعون المعروفة للجميع فيذكر أن فرعون " أمر باتخاذ الصرح ليطلع إلي إله موسى وأنه يظنه كاذباً، وأخبر أنه استكبر فرعون وجنوده وظنوا أنهم لا يرجعون إلى الله وأنه أخذ فرعون وجنوده فنبذهم في اليم، فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وأنه جعلهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون... فهذا نص في أن فرعون من الفاسقين المكذبين لموسي الظالمين".[1] فهل من المعقول أن ابن عربي لم يكن يعلم ويدرك كل هذا، هو يدرك ويعلم لكنه صاحب غرض وهوى، وغرضه هدم العقيدة والشريعة.

المطلب الرابع: الرد على ابن عربي من الحديث النبوي الشريف

من الملاحظ أن كل الردود على ابن عربي جاءت عن طريق آيات القرآن الكريم وتفسيرها، ويعود هذا إلى كون مسألة إيمان فرعون أو كفره قد ذكرت في القرآن الكريم، وكانت آيات القرآن هي وسيلة ابن عربي لإثبات إيمان فرعون – من وجهة نظره– ومن رد عليه استند أيضاً إلى نفس الآيات، والخلاف في التفسير، وكما ذكرنا فابن عربي يلفق ويدلس في التفسير القرآني.

(1) المرجع السابق، ص 280.

وبالبحث في الحديث الشريف نجد حديثاً أخرجه الإمام أحمد والترمذي" عن عبد الله بن حميد قال : حدثنا الحجاج بن منهال قال حدثنا حماد بن سلمه، عن علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس أن النبي (ﷺ) قال لما أغرق الله فرعون قال: ﴿آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة يونس: الآية (90)]، فقال جبريل: " يا محمد فلو رأيتني وأنا أخذ من حال البحر فأدسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمة"، [1] وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبه، عن عدي بن ثابت، وعطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: رفعة أحدهما إلي النبي (ﷺ) قال: " أن جبريل كان يدس في فم فرعون الطين مخافة أن يقول لا إله إلا الله".[2]

حيث يؤكد الحديثان السابقان نقيض ما ذهب إليه ابن عربي؛ إذ يدلان بوضوح على موت فرعون كافراً. فمن غير المتصور أن يقوم جبريل –عليه السلام– وهو الملاك الطاهر، بمنع أحدٍ من الدخول في الإيمان؛ إذ إن وظيفته الأساسية هي كونه أمين الوحي ورسول الله إلى أنبيائه، والملائكة لا يفعلون إلا ما يؤمرون، لكن جبريل منع فرعون من النطق؛ لأنه يعلم أنه ليس إيماناً عن يقين، وأنه في وقت لا توبة فيه، ولذا حاول أن يمنعه حتى لا ينال رحمة الله

(1) أخرجه الترمذي في سننه، تحقيق/ أحمد شاكر وآخرين، نشر مصطفي البابي الحلبي، مصر، ط2، 1975م، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة يونس، رقم الحديث (3107) 287/5، وقال الترمذي: "هذا حديث حسن".

(2) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، رقم الحديث (2144) 45/4، وقال الزيلعي: " زاد الترمذي فيرحمه الله انتهى وقال حديث حسن عريب صحيح". تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، لجمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، ت: 762هـ، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، نشر: دار ابن خزيمة–الرياض، ط: الأولى، 1414هـ، 138/2.

(3) يراجع النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، تحقيق/ مصطفي عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990م، تفسير سورة يونس، برقم (3303) 370/2، وقال الترمذي علي شرط البخاري وسلم.

سبحانه. خاصة أن الله يرحم حتى العتاة المجرمين لمجرد كلمة، وهذا يدل على كفر فرعون كفر بواح.

وحديث شريف آخر يؤكد كفر فرعون، وأنه مات على الكفر تماماً، ذكره الإمام أحمد قال: "حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا سعيد، حدثنا كعب بن علقمة، عن عيسى بن هال الصدفي، عن عبد الله بن عمرو عن النبي (ﷺ) أنه ذكر الصلاة يوماً فقال: من حافظ عليها؟ كانت له نوراً، وبرهاناً، ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور، ولا برهان، ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون، وفرعون، وهامان، وأبي بن خلف" [(1)] [(2)] فهذا الحديث يثبت يقيناً، وبلا أي شك أن فرعون مات كافراً؛ لأنه صنوان مع قارون وهامان وأبي بن خلف، وثلاثتهم من عتاة الكفار المجرمين، فبأي وجه بعد هذا الاستدلال اليقيني يعتبر ابن عربي فرعون مؤمناً، إنه التدليس في أعلى معانيه.

المطلب الخامس: أسباب موقف ابن عربي:

توجد عده احتمالات لموقف ابن عربي في قوله بإيمان فرعون هي:

- نظرية الدس أو أن: ابن عربي كان مأمورًا بإظهار هذا القول فتنة واختباراً للناس.
- وربما: صدور هذا القول حال غلبة السكر.

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، أول مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما، رقم الحديث (6576)، 150/6، وقال الكناني: " قلت: رواه أحمد بن حنبل بإسناد جيد، والطبراني في الكبير، والأوسط". إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعي، ت: 840هـ، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم، نشر: دار الوطن للنشر- الرياض، ط: الأولى، 1420هـ-1999م، 417/1.

(2) الطبراني: المعجم الكبير، تحقيق/ حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2، رقم (163).

- وربما: أن ابن عربي كتب فصوص الحكم بأمر النبي -ﷺ- في المنام كما يدعي وهذا كذب صريح.
- ومن المحتمل أنه أول: النصوص الدالة على إيمان فرعون بأنها كانت من قبيل البحث لا الإخبار عن الأمر الواقع.
- أو: تأويل النصوص الدالة على إيمان فرعون بحملها على النفس الأمارة.
- ومن المؤكد: أن كلام ابن عربي لم يكن تقريرًا لصحة إيمان فرعون، بل تقريرًا لجواز صحته بناءً على ظاهر القرآن من غير نظر إلى الإجماع.
- ومن الممكن: القول بأن ابن عربي كان مضطربًا متذبذبا في هذه المسألة.
- أو أن: ابن عربي أخطأ في كشفه وفي نظره واستدلاله على قبول إيمان فرعون.
- وربما أن: تأويل النصوص الدالة على دخول فرعون النار بحملها على دخوله النار من أجل حقوق العباد لا لموته كافرًا.

وهنا وجهة نظر وهي: القول بأن نصوص إيمان فرعون المتأخرة ناسخة لبقية النصوص.

وأخيراً: تأويل النصوص الدالة على دخول فرعون النار بحملها على تقدير إتيانه بالإيمان الاتجاه الثالث عشر: القول بأن نص الفتوحات" في تخليد فرعون في النار لم يكن تقريرًا لكشفه أو نظره، بل ساقه بناء على مذهب العامة.

المطلب السادس: تعقيب وتوضيح

كان من الواجب أن يعلم ابن عربي أن فرعون ليس اسماً من الأسماء وإنما هو لقب للمتمرد والمعبر عنه في القرآن الكريم بالعدو لما اقتضت الحكمة الإلهية ان يكون لكل نبي عدو قال تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ [سورة الأنعام: الآية (١١٢)]، وبالتالي ففرعون

هو عدو نبي الله موسى ، كما كانت كل الفراعين أعداءاً للمؤمنين، أما انه لماذا فلا يسأل عن فعل الله عز وجل؛ لأنه لا يسأل عن فعله، وهم يسألون وهذه قاعدة إلهية عرفناها من أن المؤمن كلما زيد في إيمانه زيد في بلائه، وأن الدنيا ما خلقت للمؤمن بل الدنيا بحسب الروايات سجن المؤمن وجنة الكافر، فمن الطبيعي أن يكون الكافر مستمتعًا بها حتى لا يكون له يوم القيامة عند الله من خلاق، ولا يظلم ربك أحدًا وقال تعالى : ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [سورة الزخرف: الآية (33)]، ولكن رأفة من الله عز وجل بأوساط المؤمنين لم يجعل ذلك على الإطلاق بل الإنسان في الدنيا حتى لو كان كافرًا ربما حرم من بعض الملاذ ومتع ببعض فهو قد يرى نفسه المحروم مع أنه لو نظر إلى ما أعده الله له يوم القيامة لعلم أن ذاك الحرمان ما هو إلا عطاء له من قبل الله عز وجل.

وقد ختم الفراعنة لمن سواهم، وكما أن مرجع الأعمال الصالحة الأقوام جميع الأنبياء إلى رسول الله -ﷺ- كذلك مرجع أعمال الكفر والعصيان من قبل سائر الأقوام، فهذا كله معنى الفرعون للنبي -ﷺ-، واسم فرعون موسى الريان واسم فرعون يوسف هو الوليد، أما الفرعون فهو لقب للتمرد والطغيان؛ على من جعله الله هاديًا للناس بشيرًا ونذيراً، ثم إنه لا ريب أن للفرعون معرفة تامة بمن هو عدوه، إلا إن هذه المعرفة بدلاً من أن توجه إلى الطاعة والامتثال لأوامره ونواهيه يوجهها إلى عكس ذلك تمامًا، ومثل هذه المعرفة لا تنفعه بل تكون وبالاً عليه يوم القيامة، وكلما تمت مثل هذه المعرفة تأكدت الحجة عليه حتى يكون مستحقًا لجميع أنواع العذاب من الله عز وجل، ولا تكون للناس على الله حجة بعد الرسل بل لا يعقل أن يدع الله عز وجل، معذرة لأحد عنده، بل يتم الحجة على كل أحد حتى يقال له كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا، فلو ترك الإنسان ونفسه لحكم على نفسه بما يستحقه من الله عز

وجل ولا يظلم ربك أحدًا فمثل هذه المعرفة حجة الله على ذلك الفرعون، بحيث لا يكون منكرًا ولا مستنكرًا لما يفعل به يوم القيامة، ولا يفيده إنكار ولا يخلصه شي من عذاب الله عز وجل، إلا ترى أن إبليس من اعرف الخلق بالله عز وجل، ولهذا لن يكون له عذر فيتعذر به إلى الله عز وجل، وقد أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه أن التوبة التي هي الندم الذي يجب الذنوب ويحتها حتًا لا تنفع إذا لم تكن إلا وقت حضور الوفاة قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ [سورة النساء: الآية (18)].

فمع ظهور ناصية ملك الموت ووقوفه على حقيقة ما صنع لو قال اني تبت الآن لم يسمع له، وإذا قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت يقال له كلا بل لو عادوا لعادوا لما نهوا عنه، فلا يسمع له صرخة ولا تجاب له استغاثة، والإيمان كذلك، حتى إن فرعون موسى لما قال أمنت بالذي أمنت له بنو إسرائيل قيل له: الآن وقد عصيت، فهل يفيده ذلك الاعتراف والإذعان، كلا وألف كلا؛ فحتى لو قلنا أن فرعون مؤمن لن يكون إيمانه ذلك الإيمان الذي ينفعه، بل الإيمان الذي به تتم الله عليه الحجة، فالإيمان إيمانان، إيمان قبل استتمام الإعذار والإنذار، وإيمان بعد ذلك، فالأول هو النافع دون الثاني، وإيمان الفراعنة كله من قبيل الثاني لا الأول، ثم أن الله تعالى أخبر على سبيل التقرير بقوله أفي الله شك؛ يعني ليس من أحد يشك في وجود الله عز وجل لا إبليس ولا غيره، ولكن الإيمان بوجوده تعالى لابد أن يتعقبه العمل الصالح؛ الذي يكون تجسيدًا لما ينطلق به لسانه ويضمره في قلبه؛ لأن الإيمان قول وعمل والعمل هو مظهر الاعتقاد وإلا ذهب إدراج الرياح فما علينا لو قيل بان فرعون قد آمن بالله نعم كل شيء مؤمن بالله أي بوجوده؛ لأنه ليس فيه شك ألا إن ذا الإيمان حتى يكون نافعًا لابد ان تتبعه لوازمه من الخضوع والطاعة لا التمرد والعصيان والعداوة والعياذ بالله.

وبذلك على كفر فرعون، عدم إيمانه بحواره مع موسى والمذكورة في القرآن في عدة سور، وأبرز ما ورد في سور طه، الشعراء، الأعراف، يونس، القصص. وفيما يلي تلخيص لأبرز محطات هذا الحوار كما وردت في القرآن:

المطلب السابع: محاولة هداية فرعون

عندما ذهب موسى وهارون إلى فرعون، قالا له: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [سورة طه: الآية (47)]. وكان الرد من فرعون مستنكرًا: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (49)﴾ [سورة طه: الآية (49)] فأجابه موسى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50)﴾ [سورة طه: الآية (50)].

لكن النتيجة أن فرعون أتهم موسى بأنه ساحر أو مجنون، وقال: ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [سورة الشعراء: الآية (29)]، كما اتهمه بالتخطيط لطرد أهل مصر من أرضهم.

ورغم أن الله أيد موسي بمعجزة العصا واليد لكن فرعون وصف ذلك بالسحر، واستدعى السحرة لتحديه، وبعد أن هزم موسى السحرة بمعجزة إلهية، أمن السحرة برب موسى، فقال فرعون لهم: ﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ [سورة طه: الآية (71)]، وهددهم بالصلب والتقطيع.

ورغم إنذار الله لفرعون بآيات كثيرة منها: (الطوفان، الجراد، القمل، الضفادع، الدم)، كان فرعون يستمر في الكبر والإنكار، ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [سورة

الشعراء: الآية (29)]، ووصف موسى بالساحر الماهر، واتهم موسى بأنه يريد الفساد في الأرض بل أن فرعون طغى وبغى واستكبر وتحدى الله سبحانه وتعالى فبني برجا ليرى "إله موسى" في استهزاء، ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [سورة القصص: الآية (38)] وقد مارس التهديد لموسى وقومه.

وبعد أن أرسل الله الآيات، وافق فرعون على خروج بني إسرائيل، وهذا يدل على خوفه فقط وعدم إيمانه، لكنه نكث وعاد ليطاردهم بجيشه، قائلاً: ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (54) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (55) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ (56)﴾ [سورة الشعراء: الآية (54: 56)].

وفي النهاية عندما أدرك فرعون الغرق، قال: ﴿آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة يونس: الآية (90)]، ولكن التوبة في هذه اللحظة لم تقبل، وقضى الله عليه.

إيمان الاضطرار لا ينفع: حيث يرى أن إيمان فرعون جاء في لحظة اليأس والهلاك، بعد أن زال عنه الأمل في النجاة بنفسه وقومه. وهذا إيمان اضطرار، لا ينطوي على حقيقة القبول والتسليم بالقلب.

والدليل على عدم إيمان فرعون أن آيات قرآنية عديدة سبقت لحظة الغرق وصفت فرعون ومن معه بالكفر والجحود والاستكبار كقوله تعالى عن فرعون: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾، وأن وصف الكفر هذا هو الحاكم على حالته.

ذهب ابن عربي كما ذكرنا إلى أن فرعون أمن في لحظة الغرق، وأن الله قبل منه هذا الإيمان الاضطراري لأنه كان صادقًا فيه في تلك اللحظة.

وأخيراً يرى جمهور علماء أهل السنة والجماعة أن إيمان فرعون لم يُقبل، لأنه جاء بعد فوات وقت القبول عند رؤية العذاب، ودليلهم قوله تعالى في سورة يونس: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (84) فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا . . . (85)﴾ [سورة غافر: الآية (84)]، واعتبروا أن فرعون داخل في هذا العموم.

والملاحظ هذا الحوار لا يظهر فقط صراع القوة بين نبي وطاغية، بل هو صراع بين الإيمان والتوحيد من جهة، والاستكبار والطغيان من جهة أخرى، كما يبرز دور الآيات والمعجزات في إثبات الحق، وكيف أن العناد قد يصل بصاحبه إلى الهلاك رغم وضوح الأدلة.

الخاتمة

النتائج والتوصيات

أولاً: نتائج البحث:

1. **التأسيس التأويلي لموقف ابن عربي**: انتهت الدراسة إلى أن القول بإيمان فرعون لدى ابن عربي ينطلق من تأويلٍ إشاريّ وباطنيّ لقوله تعالى: ﴿آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: 90]؛ إذ عدَّ هذا الإقرار إعلانًا إيمانيًا خالصًا ومقبولاً، معتبرًا أن حادثة الغرق كانت طهارة لفرعون ومكفرة لذنوبه.

2. **التفنيد العقدي لدى جمهور الأمة (المتكلمين والفقهاء)**: أثبتت الدراسة إجماع علماء الكلام والفقهاء على بطلان هذا الطرح؛ استنادًا إلى القواعد الشرعية القطعية التي تشترط لصحّة الإيمان أن يكون صادرًا عن اختيارٍ في حال السعة والاهتداء، لا في حالة اليأس ومعاينة الموت والحشرجة ("الغرغرة")، وهو ما دلت عليه النصوص الصريحة من الكتاب والسنة.

3. **تغليب المنهج الباطني الفلسفي على ظواهر النصوص**: أوضحت الدراسة أن الرؤية العقدية لابن عربي قامت على إيثار التأويلات الإشارية الشاطحة والنزعات الفلسفية الباطنية، مقدّمة المفهوم الوجودي الخاص لديه على الأدلة الشرعية الظاهرة والمعايير الأصولية المستقرة.

4. **مخالفة الأصول العقدية الحاكمة:** أكدت الدراسة أن القول بإيمان فرعون يُمَثِّلُ خروجًا عن الحاكمية العقدية المستقرة لدى أهل السنة والجماعة، وخرقًا للإجماع الشرعي القائم على اعتبار فرعون رمزًا للكفر والطغيان بنص المحكمات القرآنية.

ثانياً: توصيات البحث:

توصي الباحثة بضرورة:

1. **الالتزام بالمحكمات والضوابط الأصولية:** والاعتصام بظواهر النصوص المحكمة من القرآن الكريم والسنة النبوية، وتطبيق ضوابط الاستدلال الأصولي للحيلولة دون الانزلاق وراء التأويلات المرجوحة التي تصادم قطعيّات الشريعة.
2. **التحرز من التأويلات الباطنية والشطحات الفلسفية:** والاهتمام بالتنبيه على مخاطر إقحام المفاهيم الفلسفية الباطنية والتفسيرات الإشارية المتطرفة في قضايا الاعتقاد، لما تسببه من اختلال في الموازين الإيمانية وإرباك للمفاهيم الاستقرائية الثابتة.
3. **تفعيل المنهج النقدي المنضبط في التعامل مع التراث الصوفي:** بدعوة الباحثين إلى معالجة التراث الصوفي والفلسفي وفق منهج علمي متوازن، يفرّق بين الإسهامات الذوقية والمعرفية المقبولة، وبين التقريرات العقدية التي تصدم صريح الإجماع ونصوص الوحي.

4. **تأصيل الوعي العقدي وترشيد حركة التأويل**: والتوصية بتكثيف الدراسات والأبحاث الأكاديمية المتخصصة في بيان حد التأويل السائغ والتأويل المردود، للارتقاء بالوعي العقدي وحماية المنظومة الإسلامية من الشطحات الفكرية والتأويلات القائمة على الفلسفات الإشراقية.

فهرس المصادر والمراجع:

= القرآن الكريم.

1. **ابن تيمية الحراني:** مجموع الفتاوى، تحقيق عبد الرحمن بن محمد قاسم، مجمع الملك فهد، المدينة النبوية، 1416هـ، 1995م.
2. **ابن حجر العسقلاني:** لسان الميزان، تحقيق: دائرة المعارف النظامية، مؤسسة الأعلمى، بيروت، ط 2، 1390هـ، 1971م.
3. **ابن عربي:** الفتوحات المكية، ضبط وتصحيح أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت.
4. **ابن عربي:** تنزل الأملاك في عالم الأرواح إلى عالم الأفلاك، وضع حواشيه الشيخ/ عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة 2000م، ط1.
5. **ابن عربي:** فصوص الحكم، شرح الشيخ/ عبد الرازق الكاشني، دار آفاق، القاهرة، ط1، سنة 2016م.
6. **ابن عربي: كتاب الحجب:** تحقيق وتقديم/ سعيد عبد الفتاح، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط1، سنة 2004م.
7. **أحمد بن إبراهيم بن حمد بن عيسى:** توضيح المقاصد وتصحيح القواعد، تحقيق/ زهير الشايب، المكتب الإسلامي، بيروت، ط 3، 1406هـ.
8. **أحمد بن حجر بن محمد البنعلي:** الشيخ محمد بن عبد الوهاب المجدد المفتري عليه، دار الفتح، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1415هـ، 1995م.
9. **الإمام أحمد:** مسند الإمام أحمد، تحقيق / شعيب الأرنؤط، عادل مرشد وآخرون، إشراف د/ عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، سنة 2001م.
10. **الإمام مالك: الموطأ (رواية أبي مصعب الزهري):** لمالك بن أنس الأصبحي، ت: 179هـ، تحقيق: بشار معروف، محمود خليل، نشر: مؤسسة الرسالة، 1412هـ.

11. **البقاعي**: مصرع التصوف، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، نشر عباس أحمد الباز، مكة المكرمة.
12. **الترمذي**: سنن الترمزي، تحقيق/ أحمد شاكر وآخرين، نشر مصطفي البابي الحلبي، مصر، ط2، 1975م.
13. **الرازي**: التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.
14. **السخاوي**: القول المبني في ترجمة ابن عربي، دار الرسالة.
15. **الصفدي**: الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤط وتركي مصطفي، دار أحياء التراث العربي، بيروت، 1420 هـ،2000م.
16. **الضبي**: أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، نشر: دار الكاتب العربي–القاهرة، 1967م.
17. **الطبراني**: المعجم الكبير، تحقيق/ حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2.
18. **الطبري**: جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق/ أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: 1، 1420هـ، 2000م.
19. **عبد الرحمن بن صالح المحمود**: موقف ابن تيمية من الأشاعرة، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1415هـ، 1995م.
20. **عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف**: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، مكتبة ابن تيميه، الكويت، ط3، 1986م.
21. **عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف**: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، مكتبة ابن تيمية، الكويت، ط3، 1409هـ، 1986م.
22. **عبد المحسن بن حمد البدر**: الرد علي الرفاعي والبوطي في كذبهما علي أهل السنة ودعوتهما إلى البدع والضلال، دار ابن الأثير، الرياض، السعودية، ط 1، 1421 هـ،

2000م.

23. **عبد المحسن بن حمد العباد:** الرد علي الرفاعي والبوطي في كذبهما علي أهل السنة ودعوتهما إلى البدع والضلال، دار ابن الأثير، الرياض، ط1، 1421هـ، 2000م.

24. **القاري:** الرد على القائلين بوحدة الوجود، تحقيق/ علي رضا بن عبد الله بن علي رضا، دار المأمون للتراث، دمشق، ط1، 1415هـ، 1995م.

25. **محمد بن درنيقة:** معجم أعلام شعراء المدح النبوي، تقديم: ياسين الأيوبي، دار ومكتبة الهلال، ط1.

26. **ميرفت بنت كامل بن عبد الله أسرة:** احتساب الشيخ محمد بن عبد الوهاب، دار الوطن.

27. **النيسابوري:** المستدرك على الصحيحين، تحقيق/ مصطفي عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990م.